

## الفصل السادس

### الفاجعة الساتيروسية (١)

( ١ ) منشؤها واختفاؤها

إلى جانب المأساة التي رأيناها في الفصول السابقة كان هناك نوع آخر من الفواجع يبدو على المسرح الهيليني بهيئة لها من الأهمية جانب لا يستهان به وهو الفواجع الساتيروسية ، ولقد لفت هذا النوع أنظار المحدثين بسبب ما احتواه من مبتكرات فائقة ، ومن مزجه جد الحياة بهزلها ، وترحها بفرحها ، وتنهدياتها بابتساماتها .

ومع أن هذا النوع من الأدب التمثيلي مرتبط بالمآسى ارتباطاً وثيقاً هو يشبه المهازل في صورته ، لأنه يفيض على دموع الأولى مسافر الثانية فينتج من ذلك مزيج يروق بعض الأذواق التي تضحي بالفن في سبيل التسرية عن النفوس التي أضنتها هموم الحياة ، على حين أنها تشوك الأذواق الأخرى التي تقدر الفن وترى أن ذلك الخلط ضرب من الإسفاف الذي يُحوّل جماله إلى دمامة ممقوتة .

على أن هناك فريقاً من الأدباء كان أقل قسوة على هذا اللون من الأدب ، فعرف الفاجعة الساتيروسية بأنها مأساة مرحة .

نشأت الفاجعة الساتيروسية - كما نشأت المأساة - من الديثيرمبوس . ولقد أبنالك فيما

---

(١) الفاجعة الساتيروسية هي مسرحية مؤلفة من قسمين مختلفين : أحدهما مأساوي ، والثاني مهزلي . وتتكون الجوقة فيها من الساتيروس أبناء سيلينوس الذي كان أحد آلهة آسيا الصغرى أول الأمر ثم جاء إلى بلاد الهلين فانشغل فيها بإطعام « ديونيسوس » إله الخمر . ولهذا تمثله الأساطير غالباً ثعلاً . وهؤلاء الساتيروس أنصاف آلهة تشبه أرجلهم أرجل المعز ، ولهم قرون صغيرة وآذان مدبة وكانوا في عرف الأساطير يسكنون الغابات ويتعقبون « التنف » أو « الدرياد » - وهن أنصاف إلهات صغيرات جيلات يسكن الغابات - لينالوا منهن مآربهم اللذية . وقد بقيت كلمة « ساتيروس » اليوم رمزاً للرجال الساقطين الذين لا عمل لهم إلا تعقب النساء .

سلف كيف أن العناصر المأساوية قد تخلصت من العناصر الساتيروسية التي كانت متمزجة بها في مبدئها ، بيد أنه بعد أن تم انفصال المأساة عن أصلها البدائي نشأت بإزاء الفواجع مشكلة ذات ثلاثة فروض : أولها أن تكون العناصر الساتيروسية بعد أن انفصلت عنها المآسى المحضة قد هجرت زمناً ما ، ثم استردت منزلتها في الأذواق بعد ذلك ، فظهرت على هذا النحو الذي نحن بصدده . وثانيها أن تكون قد رضيت لنفسها برتبة التابعة ، واكتفت بأن تبدو قبل المأساة وبعدها ، أو بأن تكون نوعاً من المقدمة والخاتمة تربطها بموضوعها صلة قوية . وثالثها أن تكون على أثر هذا الانفصال قد كونت لنفسها بنفسها هذا النوع الذي جعل يتقدم مع الزمن حتى فاز بمكانه تحت الشمس ، بل فوق المسرح الهيليني إلى جانب المآسى المترفعة التي انفصلت عنه . ويرجح النقاد المحدثون الفرض الثاني ، ولكن الذي لا ريب فيه هو أن الفاجعة الساتيروسية - عندما تكون نظام الرباعيات المأساوية في المسابقات - كانت قد نشأت ووقفت على قدميها وفازت من الرقي بحظ عظيم .

بيد أنه لم يكد عصر التدهور يحل حتى أخذت الفاجعة تنحدر شيئاً فشيئاً ، ويضعف دورها إلى أن أصبح المشرفون على نظام المسابقات يكتفون بفاجعة واحدة لسكل تسع مآس بدلا من الفواجع الثلاث التي كانت تتوج رباعيات المسابقة في كل عام . وقد أخذ هذا الضعف يتزايد ويتضاعف حتى انتهى باختفائها في أواخر القرن الرابع ، وجعل المؤرخون يتعقبون أثرها فلا يعثرون منها إلا على منتجات العصور الماضية . وقد ظلت مخفية حتى جاء العصر الروماني فبدأت تظهر إلى عالم الوجود من جديد وطفقت تعلو وتحتل مكاناً رفيعاً وإن كانت قد تطورت وارتدت حلة حديثة أبدتها في مظهر يختلف عن المظهر الأول اختلافاً جوهرياً .

## ( ب ) أشهر الساتيروسين ومؤلفاتهم

نفسه

كان من الطبيعي - وقد كانت الفاجعة الساتيروسية ترافق المآسى فى الرباعيات - أن يؤلف الشعراء المأساويون فواجه ساتيروسية يتوجون بها رباعياتهم ، ولكن هذه المنتجات قد فقدت جميعها ولم يبق منها على كثرتها إلا فاجعة واحدة وقسم من فاجعة أخرى . وأيا ما كان ، فإننا سنشير هنا إلى أعيان هؤلاء المؤلفين الساتيروسين إشارات خاطفة لعلنا نقدم إلى القراء عنهم صورة تقريبية بقدر المستطاع .

### ١ - براتيناس

يحدثنا سويداس أنه كان معاصرا لـ « إسخيلوس » و « كيريلوس » وأنه تقدم معها إلى مسابقة رسمية عقدت فى الأولمبياد السبعين ( من سنة ٥٠٠ إلى سنة ٤٩٧ ) وأنه كان أول مؤلف ساتيروسى ، وأنه ألف خمسين مسرحية ، منها اثنتان وثلاثون فاجعة ساتيروسية ، وأن هذا النوع هو الذى ظهرت فيه موهبته ، ولكنه رغم هذا ينبئنا بأنه لم يفز بالأولية إلا مرة واحدة فى حياته . وعلى أى حال فقد فقدت جميع فواجهه ولم يبق منها إلا عنوان فاجعة واحدة وهى « المجاهدون » ولكن الشذرات القصيرة التى بقيت من مسرحياته الأخرى تدل على أنه كان شاعرا رشيقا ساحرا يعبث فى الظروف الحرجة ويمزح فى المواقف الحزينة .

### ٢ - أرستيناس

هو ابن « براتيناس » وقد حاكاه فى فن الفواجه الساتيروسية ولم يبق من مؤلفاته إلا عنوان فاجعة واحدة وهى « ككلوبيس » التى ذكر مؤرخو الأدب أنها فازت بحظ من النجاح

ويرجح المحدثون أن موضوعها لا بد أن يكون هو عين موضوع فاجعة أوربيديس التي وضعها فيما بعد بهذا العنوان نفسه ، ومهما يكن من الأمر فإن ما بقى من شذرات منتجعات هذا الشاعر لا يكفي لإصدار الحكم عليه بحال .

### ٣ - إسخيلوس

هو أول أعيان المأساويين الثلاثة الخالدين الذين تحدثنا عنهم آنفا . وقد أنبأنا « بوزنياس » و « ديوجين لا إرس » بأنه قد برع في الفواجع براعته في المآسى ، ولكن من المتعسر - وقد فقدت هذه الفواجع - إبداء الرأي في رواية هذين المؤرخين . أما الشذرات الباقية بعد مآسيه السبع التي أسلفنا تحليلها فهي مزيج مختلط لا يمكن تمييز ما هو من الفواجع منه عما هو من المآسى ، وهذا يصير الحكم متعذرا ، ولكن الذى لا شك فيه هو أنه قد أنشأ عددا لا يستهان به من الفواجع ، ولم يبق منه إلا عناوين ثمان ، وهى : (١) « ليكرغوس » (٢) « برومئوس حامل النار » (٣) « أبو الهول الهيليني » (٤) « بروتيوس » (٥) « كركيه » (٦) « كركيون » (٧) « المندوبون » (٨) « الأسد » .

وهناك عدة فواجع أخرى قد نسبت إليه ، ولكن النقاد غير موقنين من صحة هذه النسبة ، وهم يتحدثون عنها بعبارات الترجيح فحسب ، وذلك مثل : (١) « سيسيفوس فارا » (٢) « جلوكوس البحرى » (٣) « أرجو » (٤) « مرضعات ديونيسوس » وما شاكل ذلك ويعتقد النقاد المحدثون أن إسخيلوس لم يكن يرى من الضرورى أن تكون الفاجعة الساتيروسية المتممة للرباعية منتهلة من نفس المنبع الذى انتهلت منه مآسى هذه الرباعية ، وإنما قد تستقى منه حيناً ، ومن غيره حيناً آخر . وقد يكون ذلك تجديدا من جانبه . وعلى أى حال قد تبعه فيه كل الشعراء الذين أتوا من بعده .

#### ٤ - سوفُكلِيس

أثبت مؤرخو الأدب لثاني صفوة المأساويين العظماء عناوين اثنتي عشرة فاجعة قد بزفها معاصريه ، وفاق بها أنداده في هذا النوع من الأدب المرح الباسم ، وهي (١) «أميكوس» (٢) «انفيارأووس» (٣) «الفاجعة الديونيسوسية» (٤) «زواج هيلينيه» (٥) هيركلِيس في تيناروس» (٦) «قصاصو الآثار» (٧) «كيدَلْيُون» (٨) «الحكم» (٩) «الصم البكم» (١٠) «موموس» (١١) «سال مُنيوس» (١٢) «الإهانة» .

ولقد أضاف القدماء إلى هذه الفواجم عدداً آخر فأوصلوها إلى عشرين أو أكثر من ذلك بقليل ، فإذا عرفنا أنه تقدم الى المسابقة بإحدى وثلاثين رباعية ، وأنه لم ينشئ إلا عشرين فاجعة ، فقد وجب أن نرجح أن إحدى عشرة من هذه الرباعيات قد استبدلت فيها الفواجم الساتيروسية بمأس ذات خصائص معينة . ولما كان أوريبيديس قد سلك هذا النهج عينه في سنة ٤٣٨ حيث استبدل الفاجعة بمأساة ألكستيس فلم يكن من المستبعد أن يسلكه سوفُكلِيس أيضاً لا سيما وأنه لم يكن من السهل دائماً إقحام العناصر الساتيروسية في جميع المآسي ، فكان التقيد في هذا التقليد عقبة كأداء في سبيل المتسابقين . ولهذا يعد التحرر منه لونا من ألوان التجديد جديراً بالنظر والاعتناء .

لم يبق من هذه الفواجم التي ألفها سوفُكلِيس إلا شذرات متناثرة كانت إلى عهد قريب غير كافية لإعطائنا فكرة عن هذا الشاعر ، ولكن العثور على نصف فاجعة «قصاصو الآثار» في مصر أخيراً قد قدم إلينا صورة محددة لموهبته في هذا النوع الساتيروسى .

صور لنا سوفُكلِيس في هذه الفاجعة كيف أن هرميس - وهو لما يزل حديث الولادة - قد خبأ ثيران أبولون وكيف أنه اخترع القيثارة الأولى ، وقد برهن فيها على أنه امتاز بحظ من الرشاقة والرقّة والابتكار والذكاء والدهاء والمقدرة على الوخز والإمعان في فن الغمز واللمز ولو أن النصوص كانت قد حفظت في حالة جيدة لرأينا من خلالها لوحات أخرى لخصائصه ومميزاته .

## ٥ - يون الكبوسى

كما كان هذا الشاعر من المأساويين الثانويين ، كان أيضاً من الفاجعيين الساتيروسيين ، ولا يدرى أحد كم أنشأ من الفواجع ، لأن منتجاته قد فقدت ولم يبق لنا منها إلا شذرات متفرقة وعنوان إحدى فواجهه وهى : « أنفاليه » . وأهم ما لاحظته النقاد فى هذه الفاجعة هو أن الجوقة الساتيروسية فيها قد استبدلت بجوقة مؤلفة من نساء لِدَيَا .

## ٦ - أوربيديس

لم يصل إلينا مما أنشأه ثالث عِلْيَةِ شعراء هيلين من الفواجع إلا عناوين سبع ، وهى :  
(١) « أوتوليوكوس » (٢) « بوسيريس » (٣) « الحصادون » (٤) « سيسيْفوس »  
(٥) « إسكIRON » (٦) « سَلْيُوس » (٧) أ. « ككلوپيس » وهذه الأخيرة هى وحدها التى بقيت كاملة . وإذا لاحظنا أن عدد الفواجع التى أنشأها قليل إلى جانب مآسيه ، وعرفنا أنه فى إحدى رباعياته التى تقدم بها إلى المسابقة فى سنة ٤٣٨ - قد استبدل الفاجعة بمأساة « ألكستيس » كما أسلفنا آنفاً أمكن أن نرجح أن كثيراً من مآسيه قد ارتدى فى الرباعيات حلل الفواجع . والآن إليك موجز الفاجعة الساتيروسية الوحيدة التى وصلت إلينا .

## الككلوپيس<sup>(١)</sup>

استلهم أوربيديس موضوع هذه المسرحية من الأنشودة التاسعة من الأوديسا ، وغايته منها هى إثباته سمو العقل الإنسانى ، وانتصار الذكاء والحيلة الممثلين فى « أوديسوس » على القوة الوحشية الممثلة فى الككلوپيس . هذه هى الفكرة الدقيقة التى أراد المؤلف أن يسجلها فى هذه الفاجعة القصيرة الخفيفة الروح ، والتى هى الوحيدة الباقية كاملة من الأدب الساتيروسى الهيلينى كله .

---

(١) الككلوپيس هو عملاق فظيع الصورة ليس له إلا عين واحدة فى وسط جبهته ، وكانت وظيفته أن يقيم فى بركان « إتنا » بصقليا ليعذ الصواعق التى يأمره زوس - عن طريق « هيفستوس » - بإعدادها .

تتلخص هذه المسرحية في أن سيلينوس وأبناء الساتيروس يرتحلون ليمبحثوا عن ديونيسوس الذى يختطفه القرصان ويمحرون به . وفى أثناء بحثهم يسقطون بين يدى پوليفيموس الككلوپيس فىأسرهم ليرعوا له قطعانه وينظفوا كهفه ويحضروا طعامه . وبينما هم يقومون بمهمتهم يصل « أوديسوس » ورفاقه فينبئهم الساتيروس بالخطر الذى يهددهم فى هذه الجزيرة ، فيطلب إليهم « أوديسوس » شيئاً يقتات منه هو وأصحابه فيجيبونه إلى سؤله ، ولكنهم لا يكادون يحضرون هذا الطعام من كهف الككلوپيس حتى يكشف هذا الأخير تلك السرقة فيسأل الساتيروس ، فيلقون التبعة على أوديسوس . وعند ذلك يعلن الككلوپيس أنه سيلتهم السارقين فيتوسل إليه أوديسوس فى ضراعة حارة أن يعفو عنه وعن رفاقه ، بيد أن الككلوپيس لا يجيب على هذه الضراعة إلا بتعبيرات متمرده ، فيضطر أوديسوس وأصدقاؤه إلى دخول الكهف . وإذ ذاك يلتهم الككلوپيس اثنين من رفاقه . وفى هذه الأثناء ينجح أوديسوس فى إسكاره ويخرج من الكهف ويطلب إلى الساتيروس أن يساعده على الانتقام من الككلوپيس بوضع قطعة حديد ممحاة فى عينه الوحيدة ، وإنهم لكذلك إذ يخرج الككلوپيس من الكهف مولولاً نصف ثمل فيقدم إليه أوديسوس مرة أخرى الخمر فيشرب فيزيد ثمله فيقتاده إلى الكهف . وعند ذلك يسمع صياح الككلوپيس الذى يضع أوديسوس ورفاقه قطعة الحديد فى عينه . وبعد ذلك يخرج من الكهف متخبطاً مصطدماً بالصخور ناشراً يديه هنا وهناك ، ليقبض على أوديسوس ورفاقه الذين يفرون إلى سفنهم سعداء بنجاتهم من هذا العملاق المرعب .

#### ٧ -- كيوس

كان هذا الشاعر أشهر شعراء القرن الرابع فى هذا اللون من الأدب ، ولكننا لا نعرف من منتجاته إلا عناوين ثمانى فواقع وهى : (١) « إيثون » (٢) « ألكميون » (٣) « هيفستوس » (٤) « إيريس » (٥) « لينوس » (٦) « موموس » (٧) « أنفاليه » (٨) « مؤثريه » .

هذا ، ولسنا ندرى كم مرة تقدم إلى المسابقة ، وإنما الذى نعرفه هو أن سويداس قد حدثنا أنه - رغم شهرته فى هذا الفن وتفوقه على جميع معاصريه - لم يفز بالأولية إلا مرة واحدة فى حياته .

## (ج) تحليل أدبى للفاجعة

### ١ - أشخاصها

إن أهم ما يمتاز به الفاجعة الساتيروسية هو احتوائها على البطولة ممتزجة بالمزاح المضحك بصورة لا نظير لها فى الأدب الهيلينى كله ، والمألوف فى هذه المسرحيات بوجه عام أن المؤلفين يجرّون المزاح دائماً على أسنّة سيلينوس وأبنائه الساتيروس وفى الفواجع التى لم يكن فيها محل لهؤلاء كانوا يضعونها على أسنّة أشخاص غير مهذّبين كرجال الجبال وأضرابهم من ذوى الحرف الدنيا . أما البطولة فقد كانوا يصورونها دائماً فى أشخاص عظماء الأفاصيص كهيركليس وأوديسوس وأمثالها .

كان الساتيروس عادة هم الذين يؤلفون جوقات الفواجع ، وهم نماذج المروق عن جميع القواعد الخلقية التى اصطلحت الإنسانية على الإذعان لها ، وبعبارة أوضح : هم مثل لأبناء الطبيعة الأحرار الذين لا يلبون إلا داعى لذاتهم ورغباتهم أى أنهم شهوانيون ماجنون وقحاء لا تكف الفرائز الحيوانية فيهم عن إبدائها نفسها فى أوضح الصور وأشدها فجوراً وخلاعة . ومن خصائصهم الجوهرية الجبن والكسل والسذاجة والخفة وعدم الثبات على حالة واحدة إلى حد أن انتقالهم من عاطفة إلى أخرى يدهش النظارة ويحملهم على التأمل ، ولكنهم إلى جانب هذا مرحون متفائلون ، يرقصون ويغنون ، ويقفزون ويصيحون ، ويضحكون ويلعبون ، وكذلك والدهم سيلينوس الشيخ هو سكير اص كذاب ، ولكنه رقيق مَرِح سَمِير يسلى من يعاشرهم وينسيهم هموم الحياة .

كان المؤلفون يظهر ونهم على المسرح بأوجه مستعارة تتدلى من أسافلها لحي طويلة ، وعلى أجسامهم ألبسة ملتصقة بها كالأقطة تبديهم كأنهم عراة وعلى أسفل ظهر كل واحد منهم جلد معز . ولهذا كانت الجماهير تدعوهم بـ « التيوس » . وكان رقصهم يسمى سيكينيس « Sikinnis » وهو سلسلة من القفزات ، أو قل : إنه مجموعة من الحركات السريعة العنيفة التي تشبه الهياج وكانت مصحوبة دائماً بأغان مرحة مضحكة مفعمة بالهزؤ والإسفاف .



[ الصورة رقم ٣٥ مأخوذة عن رسم على وعاء هيليني يوجد بمتحف نابولي ، وهي تمثل — فيما يرى كثير من النقاد — منظراً من فاجعة ساتيروسية فقدت . وهذا المظهر يصور لنا حفلة عرس ديونيسوس في زواجه بأريانيه أخت فدرا بعد أن هجرها ثيسوس ولي عهد أثينا ويبدو في الصف الأعلى من الصورة العروسان ديونيسوس وأريانيه ، وفي الصف الأدنى سيلينوس العرييد والد الساتيروس ، وهو يرقص على نفحات الناي ، وحول هؤلاء توجد جوقة مؤلفة من الساتيروس ] .

يصعد أوربيديس جوقة الساتيروس في فاجعة الكـكلوـپيس على المسرح للمرة الأولى راقصة رقصة السيـكينيس فيرسم بهذا بفتة أهم المناظر التي تجمل خصائص هذه الشخصيات الأسطورية ، وكذلك هو يصور والدم سيلينوس محروماً كل معنى خلقى ، ولـسـكـنـه مع ذلك لا يشبه عبيد المـهـازل الذين يتصفون بمثل هذه الرذائل لأن رفقته لـ « ديونيسوس » قدأ كسبته شيئاً من الترفع يـلـون أفعاله أحياناً بلون الكرامة وإن كانت كرامة اجتماعية أكثر منها خلقية . يختص سيلينوس وأبناؤه في الفواجع على العموم بالأدوار غير الطبيعية ، وأحياناً تقوم بمثل هذه الأدوار كائنات دميمة مرعبة كـ « أبى الهول الهيلينى » و « برثنوس » و « جلوكوس » الإلاه البحرى ، والكـكلوـپيس وما شا كل ذلك مما لم تكن المأساة تـقـره أو تستسيغه . ولقد عرف إسـخـيـلـوس أكثر من غيره كيف يبرز على المسرح هذه الكائنات الغريبة ذوات الصور المدهشة ولا بد أن تكون عبقريته القوية قد استطاعت أن تنزع منها مناظر مبتكرة رائعة بقدر ما هى مروعة ، أما أخلافه ، فهم - وإن كانوا أكثر منه تحفظاً وأقل جرأة فى هذا المعنى - لم يتخلوا عن هذا التقليد كما يبدو ذلك فى فاجعة الكـكلوـپيس لأوربيديس .

يضيف هذا الشاعر إلى أقصوصة هوميروس الواردة فى الأوديسا - رغم أنه يحترم سحتتها الأساسية - مظاهر مسفة تلتئم مع طريقته التى أشرنا إليها أكثر من مرة حين عرضنا لمآسيه ، وذلك مثل المرح الـفـظ الذى يظهر فى مزاح الكـكلوـپيس مع الساتيروس حيث يجرى على لسانه أحط العبارات وألصقها بأذى البيئات العامية المسفة التى لا تتعفف عن أردأ التشبيهات التى ترتدى أقبح ثياب المجون ، وتبدو فى أبشع مظاهر الوقاحة ، وتنتهى إلى أحط ألوان الاستهتار بالجوانب المقدسة من الحياة كأن يقول مثلاً : « إني لا أقدم الضحايا إلى الآلهة أبداً ، ولكنى أقدمها إلى بطنى فهو أكبر الآلهة ، وإن الأكل والشرب هما زوس الحقيقى لدى الأشخاص العقلاء ، أما الذين وضعوا القوانين ، ليزينوا بها الحياة الإنسانية فإني أسخر منهم أشد السخرية » إلى آخر ما امتلأت به هذه الفاجعة الرخيصة مما نـصـون القلم عن تصويره .

لا جرم أننا نستطيع من خلال هذه المسرحية أن نحكم على ذلك اللون من الأدب الذى كان فى عهد إسخيلوس - فيما نعتقد - متحفظا لا يشتمل إلا على المرح البرىء والمزاح النقي المترفع ثم أضحي فى عهد أوريبديدس مسفا بذيثا ماجنا قصد به مؤلفوه إرضاء الجماهير الديمكراتية الغارقة فى المجانة الحيوانية والتي لا يروقها إلا ما ينسجم معها فى الدرك الأدنى الذى تعيش فيه عيشة السوائم .

أما الطرف الثانى من أشخاص الفواجع وهو طرف الأبطال فهو مناط صلتها بالمآسى ، أو قل : إنه كل ما يعثر القارىء عليه فيها من مظاهر الجحد والرفعة ، لأن أبطال الأفاصيص لم يكونوا فى أكثر الأحيان لحسن الحظ يفقدون كرامتهم وعظمتهم الأقصوصيتين بانحدارهم الى هذه الفواجع ، فأوديسوس فى فاجعة الككلوبيس مثلا يحتفظ بهدوئه وحكمته وشجاعته وجراته المألوفة فى الآثار الأقصوصية ، وبالإجمال يوشك دوره فيها أن يكون مأساويا بحتا لولا أن نهايتها كانت سعيدة . وإذا كنا قد عثرنا على هذا السمو محفوظا فى فاجعة أوريبديدس - وهو أقل نظرائه تمسكا بالتقاليد - فلا بد أن يكون ذلك أشد بروزا فى فواجع إسخيلوس وسوفكليس .

على أن هذه الفواجع فى أحيان أخرى كانت تشوه صفات بعض الأبطال الأجلاء ، بل أنصاف الآلهة . ونموذج هؤلاء الأبطال الذين شوهت أخلاقهم : هيركليس الذى تمثلت فيه أكثر ذائل الساتيروس ممتزجة بفضائل الأبطال ، فكانت منه شخصية شعبية فيها كثير من الإسفاف المنحط كالشره والنهم والشهوانية والوحشية وما شاكل ذلك مما يصلح لتسلية الجماهير وإضحاكها . ومن هذه المناظر المسفة المازحة تلك الصورة التى رسمها أوريبديدس لهذا البطل فى « ألكستيس » التى أشرنا الى أنها حلت فى إحدى رباعيات هذا الشاعر محل الفاجعة ، ومجمل هذه الصورة أننا نشاهد هيركليس يصل إلى قصر صديقه أدميتوس على أثر وفاة زوجته ألكستيس فيستقبله هذا الصديق خير استقبال ويخفى عنه حادث الوفاة ، ولا يكاد يجلس إلى المائدة حتى يشرع فى الأكل والشرب والطرب فى رغبة حيوانية مخجلة تحمر لها وجوه الخدم .

وليست هذه الصورة التي رسمها هذا الشاعر لذلك البطل في هذه المسرحية بأشد مسخرية من اللوحة التي صوره عليها في فاجعة « سيلبوس » حيث يقدمه إلينا رقيقا يشتريه هذا الأخير ويرسله إلى ضيعته في الريف ليعنى بكرومه ، فلا يكاد هذا الرقيق المزعوم يصل إلى الحقول حتى يحطم غرسها ويقتلع أشجار الكرم ، ويوقد نارا عظيمة ويذبح ثورين من ثيران مولاه ويكسر أحد (دنان) النبيذ ويشرب حتى يثمل ثم يغنى بصوت أجش يصدع الرؤوس ثم يفزع نائب الملك ويرغمه على أن يحضر إليه الفطائر والفواكه ، وأخيرا يفتح في الضيعة نهرا فيغرق كل شيء فيها . ولا ريب أن هذا البطل الجليل في المآسي يحل في هذه الفاجعة محل الساتيروس الذين هم نماذج السخرية الشعبية الرخيصة .

على أن مؤلفي الفواجع الساتيروسية التي نزلت بأولئك الأبطال إلى هذا الحضيض العامي لم يكونوا يقتصرون على تصويرهم في هذه الصور المسفة ، وإنما كانوا يذكرون من حين إلى آخر أنهم من أبطال الأفاصيص الأجلاء ، فيسجلون لهم في مسرحياتهم محامد البطولة الخالدة إلى جانب مساوي السخرية الشعبية . ومن أمثلة ذلك أن هيركليس الذي نراه في أول فاجعة ألكستيس يأكل ويشرب ويصيح كأنه أحد أفظاظ السوق شاهده بعد أن يتبين وفاة زوجة صديقه يعود إلى بطولته ويصمم على إعادتها ولو أدى ذلك إلى انتزاعها من أعماق الجحيم ، ثم يتوج هذا التصميم بالتنفيذ فيبدو على صورته الأقصوصية التي تتمثل فيها العظمة ويلوح على جوانبها الجبروت . وكذلك في فاجعة « سيلبوس » عندما يهدده أورستوس نراه يذكر أنه ابن زوس فتنتفخ أوداجه ويرفض في شمم أن يذل أو ينعحنى ثم يعلن قائلا : « أحرق لحمي وأفنه تماما واشرب حتى تمتلئ من دمي كما تمتلئ من شراب قاتم ، فالكواكب ستنزل تحت الأرض ، والأرض سترتفع إلى موضع الهواء قبل أن تنال مني كلمة ملق واحدة » .

ولا جرم أن هذا ليس أسلوب العبيد ، وإنما هو أسلوب أبطال الأساطير من أنصاف الآلهة ومن إليهم ممن يحتفظون بعظمتهم الطبيعية حتى في ساعات المرح والمزاح .

#### ٢ — هيكل الفاجعة وأسلوبها

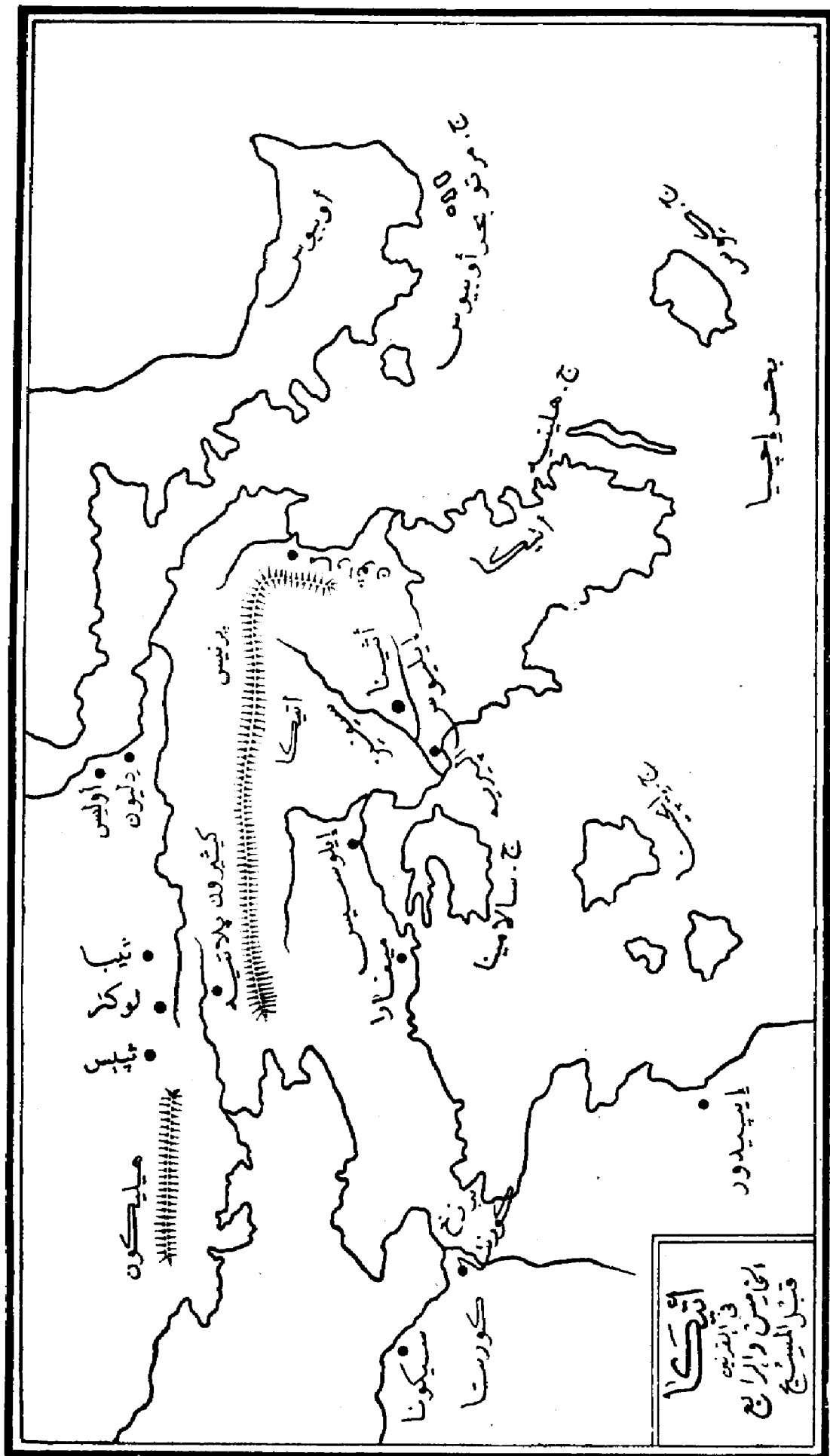
لما كانت الفواجع قد فقدت ولم يبق منها إلا الككلوبيس كما أشرنا إلى ذلك ،

فقد كان من العسير أن نرسم صورة صادقة لميكلمها المادى ، ولكننا مع ذلك سنحاول - قياساً على تلك الفاجعة الوحيدة التى بقيت لنا - أن نضع لها رسماً تقريبياً نوجزه فيما يلى :  
نستطيع أن نقرر بدياً أن منهجها كان يشبه منهج المأساة فى أهم نواحيه ، ولكن مع ضغط شديد فى جميع أجزائها يجعلها تصل إلى نصف مقدار المأساة العادية تقريباً ، وهى تشبهها فى أنها تنقسم إلى خمسة أقسام : مقدمة وأربع قصص مستقلة تشبه الفصول ، وهى تمتاز بقصر أغالى الجوقة ، بل بضعف القسم الغنائى فيها على العموم . ولا جرم أن من النتائج المحتومة لقصر هذه الجوانب انتهاء العمل والمحاورات فيها إلى السرعة والإجمال .

ومما هو جدير بالملاحظة كذلك أنه يعثر فيها على مثل ما هو فى المأسى من ألوان الحياة المتنوعة كالاعتراف ، وسوء التفاهم ، والخطأ فى تأويل الإنذارات ، وفى فهم الوحى . وقصارى القول : إن هذه الفواجع الساتيروسية كانت تحدث فى نفوس النظارة عين الأحاسيس التى تحدثها فيها المأسى وإن كانت الرهبة فى الفواجع لا تملك قلوبهم ، لأنهم واثقون من أن نتيجتها دائماً سعيدة على عكس نتيجة المأساة .

أما أسلوبها فهو فى العموم أسلوب المأساة ، إذ يلقى القارى فيه نفس طرائق الحديث الفخم الذى تفيض من جوانبه الأبهة وتصدح من خلاله رنات العظمة والجلال ، ولكنه ليس أسلوباً نقياً بريئاً من الامتزاج بالتعبيرات الدنيا ، وذلك طبيعى ما دام أنه كثيراً ما تصاغ فيه معان سوقية ، بل فظة أحياناً . ومثال ذلك أن الفواجع لم تكن تتخرج من أن تصرح بأسماء المسميات التى كانت المأسى تعبر عنها بتلميحات خفية تدرك على بعد دون التصريح بها كالأمراض والعاهات ، وكالتبسط فى تفاصيل قطع الملابس ووحداث آلات المطبخ وما شاكل ذلك ، وليس هذا فحسب ، بل إن من مميزاتها الأساسية أنها كانت تختار للتعبير عما تحتويه من معائب ورذائل ألفاظاً بذينة مسفة ، وأمثالا عامية مبتذلة ، بل كان مؤلفوها يصنعون ذلك خصيصاً كلما دعته الحاجة .

على أن هذا الانحدار من جانب الفواجع لم يهَوِّ بها إلى صفوف المهازل ، وإنما ظلت رغم ذلك كله أقرب إلى مرتبة المأساة منها إلى منزلة المهرلة التى ستكون موضوع الجزء الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .



اتیکا  
 قیامگاه  
 الخائن والرايح  
 قبل المسیح

## مخطوطات ومطبوعات ومترجمات

من المنتجات المأساوية

### ( ١ ) مخطوطات

#### ١ -- منتجات إسخيلوس

من المتفق عليه لدى النقاد أن جميع المخطوطات التي عُثر عليها من منتجات إسخيلوس نسخت عن مخطوطة واحدة لا يدري أحد متى كتبت ولا أين هي . وأيا ما كان فإن أفضل المخطوطات التي نسخت عنها هي مخطوطة توجد بمكتبة فلورنسا بإيطاليا ، وتدعى بالميديسوس « Mediceus » . ويرجع تاريخها إلى القرن العاشر أو الحادى عشر ، وهي تحتوى على المأسى السبع الباقية من مسرحيات هذا الشاعر ، ولكنها تشتمل على ثلاث ثغرات ، اثنتان منها فى مأساة أجا ممنون ، والثالثة فى مأساة « حملة القرايين » . ويلاحظ المتأمل فى هذه المخطوطة أن النصوص فيها مكتوبة بخطين مختلفين . وفوق ذلك فإن بها إضافات وتصحيحات بمخطوط أخرى . ولا ريب أن هذا هو أحد نقائصها رغم قيمتها النسبية .

أما المخطوطات الأخرى فليس لها سوى أهمية ثانوية ، بل هي لا تكاد تنفع إلا فى تكملة الثغرات الموجودة فى مخطوطة الميديسوس كما انتفع الباحثون بإحدى مخطوطات فلورنسا فى سد ثغرة أجا ممنون .

وهناك مخطوطات عدة لا تحتوى إلا على ثلاث مأسى وهي : برومثيروس موثقاً ، ومهاجو ثيبا السبعة ، والفرس ، وهذه المأسى هي التي تدرس بوجه عام فى المدارس البيزنطية .

#### ٢ — سوفكليس

على نفس النحو الذى رأيناه عند إسخيلوس يجمع العلماء على أن جميع المخطوطات التي

بقيت من منتجات سوفكليس قد نسخت من مخطوطة واحدة ، وأن أفضلها توجد في مكتبة فلورنسا كذلك ، وأنها تسمى لورنسيانوس حرف ( أ ) « Laurentianeis A » ويرجع تاريخها أيضا إلى القرن العاشر أو الحادى عشر ، وهى تحتوى على المآسى السبع التى بقيت لهذا الشاعر ، ولكنها فيما يرى النقاد محتوية على أخطاء ، أما ما عداها من المخطوطات فإنه قليل الأهمية ما عدا مخطوطة واحدة توجد في فلورنسا أيضا ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، وهى تحتوى على مآسى : أياس ، وإيلكترا ، وأوديبوس ملكا ، وهى أصح من سالفها . ويلاحظ الباحثون بوجه عام أن مخطوطات هذه المآسى الثلاث كثيرة وذائعة ، وأنها هى التى تدرس في المدارس البيزنطية كسابقاتها من منتجات إسخيلوس .

### ٣ — أوربيديس

يرى النقاد أن مخطوطات منتجات أوربيديس قد انقسمت منذ ظهور بحوث كرشهوف ، وفى إلى قسمين أولهما كل المخطوطات التى نسخت من المخطوطة البدائية التى تحتوى على تسع مآس ، وهى : هيكوبيه ، وأورستيس ، والفينيقيات ، وأندروماخيه ، وهيبوليتوس ، ومديا ، وألكستيس ، والترواديات ، وريسوس .

وأصح مخطوطات هذا القسم هى المخطوطة المسماة « مرسيانوس » « Marcianus » الموجودة بمكتبة القديس مرقس بمدينة البندقية ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر ، ولكنها لا تحتوى إلا على المآسى الأربع الأول ، وعلى جزء من هيبوليتوس . وتلى هذه المخطوطة مخطوطة أخرى توجد بمكتبة الفاتيكان ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر ، وهى تحتوى على جميع المآسى التسع المثبتة في المخطوطة الأولى التى نقل عنها كل هذا القسم الأول . وتلى هذه المخطوطة مخطوطة أخرى توجد بمكتبة كوبنهاجن تحتوى على المآسى التسع أيضا ، ولا يعرف تاريخ نسخها ، وبها أخطاء . وأخيرا توجد مخطوطة أخرى بدار الكتب بباريس ، وهى تحتوى على المآسى الخمس الأول ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر .

أما القرن الثاني فهو عدة مخطوطات مشتملة كلها على أخطاء ، ولكنها حفظت لنا المآسى العشر الأخيرة . وأهم مخطوطات هذا القسم هي (١) مخطوطة تدعى بـ « البابلاتينوس » « Palatinus » وتوجد في متحف الفاتيكان ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، وهي تحتوى على ست مآس من القسم الأول ، وعلى سبع من الثاني ، وهي : الضارعات ، ويون ، وإيفيجنيا فى أوليس ، وإيفيجنيا فى توريس ، والباكوسيات ، والككلوبيس ، والهيركليسون .

(٢) مخطوطة تسمى لورنسيانوس رقم ٣٢ « Laurentianus 32 » وتوجد فى فلورنسا ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، وهي تحتوى على المآسى التسع التى هى مجموع القسم الأول ، وعلى المآسى السبع التى توجد فى البابلاتينوس ، وعلى هيركليس نجبولا ، وهيلينيه ، وإيلكترا ، وتعتبر أكل المخطوطات ، بل إن هذه المآسى الثلاث الأخيرة لا توجد إلا فيها .

## (ب) مطبوعات

### ١ - شعراء الطليعة

لا توجد من منتجات هؤلاء الشعراء الأولين الذين سبقوا أعيان المأساويين الثلاثة والذين أطلقنا عليهم عنوان شعراء الطليعة سوى شذرات متفرقة نشير إلى مطبوعاتها فيما يلى :  
نوك ، طبعة ثانية ، ١٨٨٩ ، ليزيج . - فجنير ، ١٨٥٢ ، راتسبون ، وكذلك طبعت هذه الشذرات فى مجموعة ديدو بياريس .

### ٢ - إسخيلوس

طبعت منتجات هذا الشاعر للمرة الأولى فى باريس فى سنة ١٥١٨ ، ثم تلتها طبعات عدة نذكر أهمها وأشهرها فيما يلى : دَنْدُرف ، طبعة خامسة ، ١٨٦٩ ، لندرا . - فى ، طبعة ثالثة ، ١٩١٠ ، تَبْنِير ، ليزيج . - وبه هوامش وتعقيبات باللغة الإغريقية الحديثة . - مازون ، ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ، مجموعة بوديه ، باريس .

### ٣ - سوفكليس

طبعت منتجات هذا الشاعر للمرة الأولى بمدينة البندقية في سنة ١٥٠٢ ثم تلت هذه الطبعة عدة طبعات نذكر من أبرزها ما يأتي : فَنْدِير ، ١٨٧٨ ، لَبْزِيْج ، وبه تعليقات مشهورة دندرف ، طبعة خامسة ١٨٦٩ ، لَبْزِيْج . - جيب ، طبعة ثانية ، ١٩١٧ ، كبردج . برسون ، ١٩٢٤ ، أكسفورد . - مسكريه ، ١٩٢٢ - ١٩٢٤ ، مجموعة بوديه ، باريس .

### ٤ - أوريبيديس

طبعت منتجات هذا الشاعر للمرة الأولى في سنة ١٥٠٣ ثم توالى بعد ذلك الطبعات الحديثة التي نجملها فيما يأتي : دندرف ، طبعة خامسة ، ١٨٦٩ ، لَبْزِيْج . - كرمهوف ، طبعة ثانية ، ١٨٦٨ ، برلين . - نوک ، طبعة ثانية ، ١٨٧١ ، لَبْزِيْج . - برَنَز ، وفكلين ، طبعة ثانية ١٩٠٨ ، لَبْزِيْج . - ميردِيْيه ، وِبرْمَنْتِيْيه ، ١٩٢٣ ، مجموعة بوديه ، باريس .

### (ح) الترجمات

#### ١ - إلى الفرنسية

من الترجمات القديمة الممتازة التي عثرنا عليها منقولاً من الهيلينيه إلى الفرنسية ترجمة منتجات إسخيلوس وسوفكليس ، وأوريبيديس للكاتب الكبير الكنت دي ليل ، وبلى هذه الترجمة ما يلي :

منتجات إسخيلوس ، ترجمة مازون مجموعة بوديه ، ١٩٢٥ ، باريس - وترجمة مسكريه لمنتجات سوفكليس ، نفس المجموعة ، ١٩٢٤ ، باريس - وترجمة ميردِيْيه وِبرْمَنْتِيْيه لمسرحيات أوريبيديس ، نفس المجموعة ، ١٩٢٣ ، باريس . -

#### ٢ - إلى الألمانية

من بين التراجم الألمانية الملحوظة ترجمة ذيلاً موفيز - مولين درف لأورستيسية إسخيلوس ، وقد نقلها شعراً في سنة ١٨٩٦ ، برلين -

#### ٣ - إلى الإنجليزية

ومن أهم الترجمات الإنجليزية العصرية ترجمة فيرال لأجامنون وحملته القرايين ، والمحسفات الثلاث لإسخيلوس ، مكيلان ، لندرا . -

٤ - إلى اللغة العربية

لم ينقل من منتجات العصر المأساوي الهيليني إلى اللغة العربية - فيما نعلم - سوى إحدى عشرة مأساة نقلها حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين باشا في مجلدين أولهما نشر في سنة ١٩٢٠ تحت عنوان صحف مختارة من الأدب التمثيلي عند اليونان ، وقد احتوى على تمهيد مفصل شيق لنشأة التمثيل عند الهيلين ، وعلى ترجمة جيدة لحياة إسخيلوس أول أعيان المأساويين الثلاثة ثم على تلخيص للمآسي السبع التي بقيت من منتجاته وهي : المستجير ، والفرس ، والسبعة يهاجمون طيبة ، وپرومتيوس مغلول ، وأجاممنون ، والمقربون . والصاصحات ، ثم اشتمل على ثلاث من مآسي سوفكليس وهي : أياص ، وأنتيجونا ، وإيلكترا .

وثاني هذين المجلدين نشر في سنة ١٩٣٩ تحت عنوان : « من الأدب التمثيلي اليوناني » وقد عاد سعادة المؤلف في هذا الكتاب إلى مآسي سوفكليس الثلاث المذكورة في الكتاب الأول فأكملها ونقح ترجمتها ، وأضاف إليها مأساة أوديبوس ملكا . ونحن لا يسعنا هنا إحقاقا للحق إلا أن نشيد بهذا المجهود العظيم ، وأن نعيد ما سجلناه في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب من أن ترجمة نصوص الأدب الأجنبي الذي يراد تحليله وإذاعته هي مثلى الوسائل لقهم هذا الأدب ومعرفته على صورته الحقيقية . ولا نريد التذليل على ذلك بأكثر من إحالة القارئ إلى تلك المحاور الفاتنة الساحرة المفعمة بالعظمة والجلال من جانب عزيز كريم مضطهد ، والمليئة بالتهديد والوعيد من جانب طاغية متغطرس ، يمثل أولهما في پرومتيوس ، وثانيهما في زوس أو في هرميس ابنه ورسوله الذي يتحدث بأسلوبه ، ويروي عباراته .

تلك هي المحاور البديعة التي نقلها سعادة الدكتور طه حسين باشا إلى العربية ضمن ما نقل في صفحة ١٠١ وما بعدها من الكتاب الأول .

هذا ، ونرجو أن نرى قريبا كل نصوص الأدب الهيليني في جميع عصوره وقد نقلت إلى اللغة العربية نقلا ذا قيمة أدبية محترمة يقوم به العلماء الفنيون ، لا الأدعياء المتطفلون كما حدث ذلك في نقل بعض منتجات العصر الحماصي الذي أشرنا إليه في تلك المقدمة المذكورة

## BIBLIOGRAPHIE

---

### 1—Histoires de la littérature grecque .

W. Christ, 1905, Teubner, Leipzig .

A et M. Croiset, Boccard, 1928, Paris .

M. Egger, Delaplane, Paris .

J. - P. Mahaffy, 1903 - 1904, Oxford .

A. Pierron, Paris, 1863 .

O. Müller, trad. Hillebrand, 1865, Paris .

Wilamowitz - Moellendorff, 1905, Teubner, Leipzig .

---

### 2—Etudes .

Allègre, Sophocle, étude sur les ressorts dramatiques de son théâtre et la composition de ses tragédies, Lyon 1905,

Courdaveaux, Eschyle, Xénophon et Virgile, 1872, Paris .

M. Croiset, Eschyle, études sur l' invention dramatique dans son théâtre, Paris .

P. Decharme, Euripide et l' esprit de son théâtre, 1893, Paris

Foucart, Le culte de Dionysos en Attique, ds. Mém. acad. inscr t. 37, Paris .

J. Girard, Euripide dans Revue des deux Mondes, février 1896

P. Girard, Pages choisies des tragiques Grecs, 1908, Colin, Paris .

Jardé, Athènes ancienne, Paris.

Lechat, Phidias et la sculpture grecque au 5<sup>ème</sup> siècle Paris

P. Masqueray, Euripide et ses idées, 1908, Hachette, Paris.

— , Théories des formes lyriques de la tragédie grecque, 1895, Paris .

Mazon, L' Orestie d' Eschyle ( introduction ), 1925, Paris .

Méautis, L' Ame Hellénique d'après les vases peints, Paris.

Méridier, Le prologue dans la tragédie d' Euripide ds. Bibl. univ. du Midi XV 1911.

Navarre, Dionysos, étude sur L' organisation matérielle du théâtre athénien, 1895, Paris .

Nestle, Euripidès. , Stuttgart, 1901.

Patin, Etudes sur les tragiques Grecs, 3 éme édit., 1865 – 1866, Paris.

Saint Marc Girardin, Cours de littérature dramatique, 1850, Paris .

M. Tournier, Némésis ou la jalousie des dieux, 1862, Paris.

H. Weil, Etudes sur le drame antique, 1897, Paris.